١٠. نظرات فى غريب القرآن الكريم (*)

١. اللغة العربية أوسع اللغات:

سألت نفسى قبل أن أخطّ كلمة فى هذا البحث: هل المعاجم العربيّة ـ ابتداءً من معجم الخليل بن أحمد المسمّى (العين) وانتهاء بالمعجم الوسيط لذى قام بإخراجه ونشره مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ـ تمثّل كلّ ما ورد عن العرب من كلمات وألفاظ، وصيغ ومعانٍ؟.

وللإجابة عن هذا التساؤل أقول: إنّ اللغة العربيّة أوسع اللغات، لا يحصرها معجم، ولا يستوعبها رواة. ولا أدلّ على ذلك من كلمة أبى عمرو بن العلاء حيث يقول: «ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلا أقله، ولو جاء كم لجاءكم علمٌ وافر وشعر كثير» (١).

وقد وضع النقاط على الحروف الإمام الشافعى اللغوى حيث يقول «لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبىّ» (٢).

ومما يؤكد اتساع اللغة العربية، وكثرة ألفاظها هذه الأسماء المتنوعة للاسم الواحد. وقد سجل ذلك ابن فارس فى كتابه: (الصَاحبىّ) فى معرض الفخر باللغة العربية، وأنّها اللغة التى اختصّها الله بالفضل، وميزها بالبيان حيث قال جلّ شأنه: ﴿بلسانٍ عربىٍّ مُبين﴾ (٣).

قال الصاحبى: «ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسماً غير واحد فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم».

وحدّثنى أحمد بن محمد بن بُندار قال: سمعت أبا عبدالله بن خالويه الهمذانى يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحيّة مائتين.

وأخبرنى على بن أحمد بن الصباح، قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثنا ابن أخى

(*) نشر فى مجلة التضامن الإسلامى التى تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة ـ السنة التاسعة والثلاثون الجزء الخامس ـ ذو القعدة ١٤٠٤هـ أغطس ١٩٨٤م.

(١) الاقتراح للإمام السيوطى ١٠٠.

(٢) الرسالة للإمام الشافعى ٤٢.

(٣) الشعراء ١٩٥.

الأصمعى عن عمه أن الرشيد سأله عن شعر لأبى حزام العُكْلِيّ، ففسره. فقال: يا أصمعىّ: إن الغريب عندك لغير غريب، فقال: يا أمير المؤمنين: ألا أكون كذلك، وقد حفظت للحَجَر سبعين اسماً (١).

وقد روى أكثر المؤرخين «أن المعرّى الشاعر المعروف عثر ـ وهو داخل إلى مجلس الشريف المرتضى فى بغداد ـ برجل، فقال هذا مغضباً: مَن هذا الكلب؟ فقال المعرى: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً».

وقد حفزت هذه الكلمة الجلال السيوطىّ إلى تتبع كتب اللغة باحثاً منقباً حتى عثر على هذه الأسماء، فنظمها فى أرجوزة سمّاها: (التَّبرِّى من معرّة المعرّى) (٢).

علامَ يدلّ هذا؟

ألا يدل على أن اللغة العربية التى حوت ألفاظها هذه المعاجم ـ التى أشرت إليها ـ ليست كل اللغة، وإنما هى جزء قليل تمثله نصوص شعرية ونثرية وصلت إلينا عن طريق الرواة. وكانت الذاكرة هى السجل الأول لهذه الروايات. والذاكرة مهما كانت قوية لا تستطيع أن تستوعب كل ما نطق به العرب قبل الإسلام. إنها طاقة محدودة تقف عاجزة أمام الاستقراء الكامل لمعارف العرب، وأفكارهم، وأساليبهم، ومعانيهم، وصُوَر تعبيراتهم.

وليس معنى ذلك أن العرب فشت فيهم الأمّيّة؛ لأنهم اعتمدوا على الذاكرة، لأن الأمية فى العرب القدماء ليست قضية نسلّم بها، لأن هذا يتناقض مع الروايات التاريخية التى تنصّ على أن كتّاب الوحى على عهد رسول الله ﷺ كانوا يدونون القرآن الكريم بل إنها تؤكد: «أن القرآن الكريم كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ وأنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها فى موضع كذا من سورة كذا» (٣).

---

(١) الصاحبى لابن فارس ٢١.

(٢) النقد واللغة فى رسالة الغفران للدكتور أمجد الطرابلسى ٢٤، ٣٥.

(٣) مقدمتان فى علوم القرآن: وهما مقدمة: كتاب (المبانى) لمؤلف مجهول، ومقدمة ابن عطية ٢٧.
وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور/ عبد العال سالم مكرم ص ١٣٥.

ومعنى ذلك أن الكتابة والقراءة ظاهرتان واضحتان فى المجتمع العربى قبل الإسلام. ويكفى دليلاً على ذلك أنّ أوّل آيات نزلت من القرآن الكريم كانت الآيات التى تأمر بالقراءة، وتشير إلى القلم وترمز إلى العلم: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (١).

وإذا كان فى العرب من يجيد القراءة، ويحسن الكتابة فلِمَ لم يتجه العرب إلى تدوين لغتهم، وتسجيل أفكارهم، وحفظ تراثهم كما فعل قدماء المصريين حينما نقشوا على معابدهم وقبورهم حياتهم الاجتماعية والفكرية، والاقتصادية والسياسية مما أنار الطريق نحو كتابة تاريخهم فى صورة واقعية من خلال هذه النقوش؟.

إن العرب لو فعلوا ذلك لأمدّونا بكثير عن حياتهم الاجتماعية والدينية والسياسية.

أما القدْر الذى وصل إلينا من الشعر والنثر فهو ضئيل لا يمثل حياتهم بجوانبها المختلفة كما ينبغى أن تمثّل، بل وصل الأمر إلى أن هذا الشعر المرويّ كان موضع شك عند بعض الباحثين المعاصرين.

أكبر الظن أنّ أحداث الحياة القبلية فى الجزيرة العربية لم تتح الفرصة أمام هؤلاء الكاتبين أن يسجلوا ما يشاهدون، ويكتبوا ما يسمعون، لأن تنقلهم من مكان إلى مكان، واشتغالهم بالحرب فيما بينهم، وإفساح المجال أمام الألسنة لتنقل هذه الأحداث فى مجالسهم لتسجلها الذاكرة، وينقلها الرواة، كل ذلك طغى على وظيفة القلم فلم يصلنا من أشعارهم عن طريقه إلا المعلقات التى كتبت، وعلقت على الكعبة، وهى قضية احتدم حولها الجدال، وكثر فى مجالها النقاش، وليس فى هذا البحث متسع لتناول هذه القضية (٢).

والذى أريد أن أصل إليه من هذه المقدمة هو أن المعاجم العربية بأنواعها سواء كانت معاجم ألفاظ أو معاجم معان لم تحط بكل ما ورد عن العرب، ولم تسجل كل ما لديهم من تراث لغوى.

---

(١) العلق ١ ـ ٥.

(٢) انظر هذه القضية فى كتاب: «القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية» ٣٦ للباحث.

على أنّي لا أذهب بعيداً إذا قلت: إننا لو تتبعنا تراثنا الشعرى والنثرى فى العصر الجاهلى عن طريق استيعاب هذا التراث مخطوطه ومطبوعه لرأينا طائفة من الألفاظ العربية لم تسجلها المعاجم التى بين أيدينا مما يؤيد القول السابق المشهور لأبى عمرو بن العلاء، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول: إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى يجب أن تدرس الحياة الجاهلية فى مرآته كما قال المرحوم الدكتور طه حسين فى كتابه: (فى الأدب الجاهلي):

«القرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي» (١).

ولعل الدكتور طه حسين يعنى أننا لا نعرف الكثير عن الحياة العربية فى العصر الجاهلى إلاّ عن طريق القرآن الكريم: وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان، ولكنه إن أراد أن العرب لا يملكون تراثاً شعرياً موثقا قبل الإسلام فهذا ما ننكره، لأن القرآن نفسه أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن نزل بلسان عربى مبين، والإبانة تعنى وضوح العبارة، وبلاغة التعبير، وقوة التأثير، ومن هنا كان التحدى المعجز لأرباب البيان، وفرسان التحدى المعجز لأرباب البيان، وفرسان البلاغة. ولله درّ أبى سليمان الخطابى حين عرض لقضيّة الإعجاز فى بيان رائع حيث يقول: «إن النبى ﷺ قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه، وانقطعوا دونه، وقد بقى ﷺ يطالبهم به مدّة عشرين سنة، مُظْهِراً لهم النكير، زاريًا على أديانهم، مسفهًا آراءهم وأحلامهم حتى نابذوه وناصبوه الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأُريقَتْ المُهَج، وقطعت الأرحام، وذهبت الأموال.

ولو كان ذلك فى وسعهم، وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة.. ولم يكونوا تركوا السّهل الدّمث من القول إلى الحزْن الوعر من الفعل، هذا ما لا يفعله عاقل، ولا يختاره ذو لُبٍّ، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع، والشعراء المفلقون، وقد وصفهم الله تعالى فى كتابه بالجدَل واللّدد، فقال سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ (٣).. إلى أن يقول: «ومعلوم أن رجلا عاقلا لو عطش

(١) فى الأدب الجاهلى ٧ للدكتور طه حسين.
(٢) الزخرف ٥٨.
(٣) مريم ٩٧.

عطشا شديدا خاف منه الهلاك على نفسه. وبحضرته ماء معروض للشرب فلم يشرب حتى هلك عطشا لحكمنا أنه عاجز عن شربه، غير قادر عليه. وهذا بيّن واضح لا يشكل على عاقل» (١).

ولعلى بعد هذا الذى قدمت لم يبق أمامنا إلا الاعتراف بأنّ التحدى القرآنى لبلغاء العرب حقيقة لا تقبل الجدل، وواقع لا يتسرب إليه الشك.

ب ـ الحركة اللغوية لتفسير غريب القرآن الكريم:

ومن الحقائق المسلّم بها أن القرآن الكريم لفت أنظار الرواة والعلماء إلى هذه الثروة اللغوية التى اشتمل عليها، فقاموا بحركة لغوية كبيرة هدفها توثيق الكلمات اللغوية التى نسجت من مادتها النصوص القرآنية، فاتجهوا إلى الأعراب فى البادية يتلقون عنهم اللغة فى أساليبها الفصيحة، ولا غرو فى ذلك «فليس فى الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع، ولا آنق، ولا ألذ فى الأسماع ولا أشد اتّصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق فى اللسان، ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء» (٢).

وقال صاحب (الموازنة): «الأعرابى لا يقول إلا على قريحته ولا يستقى إلا من قلبه» (٣).

وإلى جانب هذه الحركة اللغوية التى كان الهدف منها ـ كما قلت ـ جمع اللغة لتفسير ألفاظ القرآن الكريم فى ضوئها، وكشف معانيه من خلالها، قامت حركة أخرى تسير معها جنبا إلى جنب، وهى الحركة المتمثلة فى جمع الشعر العربى، وبخاصة الشعر الجاهلي، وقد قمت بدراسة حول هذا الموضوع نشرت فى (مجلة الشعر) بالقاهرة (٤).

وإلى جانب هاتين الحركتين قامت حركة أخرى لجمع ما ورد فى القرآن الكريم من لهجات عربية أخرى غير قرشية مع أنّ المعروف عند الباحثين أن القران الكريم نزل بلغة

(١) إعجاز القرآن الكريم للخطابى ٢٠.

(٢) الأعرابيات ٣٦، ٣٧ لخليل مردم.

(٣) الأعرابيات ٣٧.

(٤) انظر مجلة الشعر التى تصدر فى القاهرة العدد ٢٩ ـ شهر يناير ١٩٨٣ بعنوان: غريب القرآن الكريم والشعر الجاهلي.

قريش، وقد قمت بدراسة حول هذا الموضوع نشرت فى مجلة (الوعى الإسلامى) التى تصدر فى الكويت [1].

ج ـ الغريب فى عصر الرسول عليه السلام وعصر أصحابه

أحب أن أبين أنّ هذا الغريب الذى جمع فى عصر متأخر عن عصر الرسول عليه السلام وأصحابه لم يكن غريبا فى عهد رسول الله ﷺ ثم فى عصر أصحابه، لأن القرآن عربى غير ذى عوج، فلم يجد الصحابة فى فهمه شيئا من العناء؛ لنقاء الألسنة، وسلامة السلائق، وغلبة الفصاحة، وحينما يجهلون معنى كلمة من كلماته، أو يعجزون عن فهم معنى من معانيه يسألون عنه الرسول عليه السلام ليجيبهم، فيكشف لهم معنى ما يجهلون، ويوضح لهم غموض ما لا يفهمون.

يقول ابن الأثير: «واستمرّ عصره ﷺ إلى حين وفاته على هذا السنن المستقيم.

وجاء العصر الثانى ـ وهو عصر الصحابة ـ جَاريًا على هذا النمط، سالكا هذا المنهج، فكان اللسان العربى عندهم صحيحًا محروسًا لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الزلل إلى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم من الروم، والفرس، والحبش، والنّبط، وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم، فاختلطت الفرق، وامتزجت الألسُن، وتداخلت اللغات.

.. فتعلموا من اللسان العربى ما لا بدّ لهم من الخطاب منه، وحفظوا من اللغة ما لا غنى لهم فى المحاورة عنه، وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه، وأهملوه لقلة الرغبة فى الباعث إليه، وتمادت الأيام والحالة هذه على ما فيها من التماسك والثبات، واستمرت على سنن من الاستقامة والصلاح إلى أن انقرض عهد الصحابة، والشأن قريب، والقائم بواجب هذا الأمر لقلته غريب.

وجاء التابعون لهم بإحسان فسلكوا سبيلهم، لكنهم قلّوا فى الإتقان عددا، واقتفوا

(١) انظر بحث: غريب القرآن الكريم بين اللهجة القرشية واللهجات العربية فى (مجلة الوعى الإسلامى) مارس ١٩٧١.

هديهم، وإن كانوا قد مدّوا فى البيان يدا. فما انقضى زمانهم على إحسانهم إلاّ واللسان العربى قد استحال أعجميا أو كاد، فلا ترى المستقل به، والمحافظ عليه إلا الآحاد» (١).

وأضحٌ إذا من نص ابن الأثير أن الغريب اختلف من عصر إلى عصر، فما لم يكن غريبا فى العصر الأول صار غريبا فى العصر الذى يليه، وكلما ابتعد الناس عن اللسان العربى زادت الغرابة وكثر الغريب..

د. معنى الغريب

يقول الإمام أبو سليمان الخطابى البُسْتى:

«الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال على وجهين:

أحدهما: أنه يراد به أنه بعيد المعني، غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بُعْد ومعاناة فكر.

والوجه الآخر: يراد به كلام من بَعُدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها» (٢).

والوجه الآخر لا نتعرض له فى البحث لأنه غير مراد، ولأن القران الكريم لا يحتوى على الكلمات الشاذة أو الألفاظ المستهجنة أو المفردات الحوشية. يقول الرافعى فى كتابه: (إعجاز القرآن): «فى القرآن الكريم ألفاظ اصطلح على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة، أو نافرة، أو شاذة، فإن القرآن الكريم منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هى التى تكون حسنة مستغربة فى التأويل بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها وسائر الناس» (٣).

هـ. الحث على معرفة الغريب

ذكر السيوطى فى كتابه: (الإتقان) أنه: «ينبغى الاعتناء به، فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعا: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».

---

(١) انظر مقدمة: (النهاية) لابن الأثير.

(٢) انظر (كشف الظنون) نهر ١٢٠٣.

(٣) إعجاز القرآن الكريم للرافعى ٧٤.

ويبين السيوطى معنى الإعراب فيقول:

«والمراد بإعرابه معرفة معانى ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها».

ويحذر السيوطى من الخوض فى الكشف عن معانى الألفاظ بدون تثبت ولا روية فيقول:

«وعلى الخائض فى ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن» (١).

و ـ مراحل تفسير غريب القرآن الكريم

١ ـ تفسير النبى عليه السلام لغريب القرآن:

أول مرحلة من مراحل توضيح هذا الغريب بدأت فى عهد الرسول عليه السلام وذلك لأن العرب لم تكن على مستوى واحد فى فهم مدلولات هذه الكلمات الغريبة.

ذكر ذلك ابن قتيبة فى كتابه: (المسائل) حيث يقول: «إن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن الكريم من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل فى ذلك على بعض». والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾(٢)، ثم قال ابن قتيبة: ويدل عليه قول بعضهم: «يا رسول الله، إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه، ونحن العرب حقًّا؟ قال عليه السلام: إن ربِّى علّمنى فتعلمت» (٣).

فمن البدهىّ إذًا، والنبى عليه السلام بين ظهرانيهم أن يسألوه عمَّا خفى عليهم من الألفاظ، وما استتر من المعاني، ليوضح لهم ما غمض ويكشف لهم ما استتر.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ ـ لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾(٤). قال

(١) الإتقان للسيوطى ١/ ١١٣.
(٢) آل عمران ٧.
(٣) المسائل لابن قتيبة، نسخة مخطوطة مصورة جامعة الأزهر.
(٤) الأنعام ٨٢.

بعض الصحابة: وأيّنا لم يظلم نفسه؟ ففسر النبى عليه السلام الظلم بالشرك. واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

٢ـ حديث عدىّ بن حاتم قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(٢) عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتى، فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى، فغدوت على رسول الله فذكرت له ذلك. فقال: «إنما سواد الليل، وبياض النهار» (٣).

هذا وقد ثار الجدل، واحتدم النقاش بين العلماء حول تفسير النبى عليه السلام للقرآن الكريم. هل فسّر القرآن كله، أو فسر فقط ما أشكل من آيات؟.

فى رأيى أن النبى عليه السلام فسر فقط معانى الكلمات الغريبة التى تتعلق بالعقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك. أما ما وراء ذلك فقد تركه عليه السلام للعرب يفهمونه بلغتهم، وعلى هدى اجتهادهم وفى ضوء رصيدهم اللغوى من التعابير والأساليب.

٢ـ توضيح غريب القرآن بالقرآن:

وهذا التوضيح يعتبر مرحلة ثانية من مراحل توضيح الغريب، ولا شك أن القران الكريم يوضح بعضه بعضاً، ولكن هذا التوضيح لا يدرك معناه إلا بالفهم الدقيق لآياته بالنظر إلى الآيات المتكررة وربطها بعضها ببعض، وجمعها فى إطار واحد، لينظر إليها فى صورتها المتكاملة لأن الإشعاعات الفكرية التى تعطيها هذه الصورة المتكاملة، تزيل التناقض والاختلافات التى يحاول بعض الجهلة أن يرموا بها كتاب الله، وكتاب الله منها برىء.

على أن هذا الفهم يحتاج إلى تصفية النفوس من أكدارها، والعقول من شبهاتها، والقلوب من زيغها.

وأذكر فى هذا المقام كلمة علىّ كرّم الله وجهة، وقد سئل: هل خَصكم بأهل البيت

(١) لقمان ١٣.
(٢) البقرة ١٨٧.
(٣) تفسير الآلوسى ٢/ ٦٧.

رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال «ما عندنا غير ما فى الصحيفة أو فهمٌ يؤتاه الرجل فى كتاب الله»(١).

والزبيدى يبين أن مرتبة فهم كتاب الله مرتبة عظيمة، ويستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٢)، فإنه تعالى خصص ما انفرد به سليمان بالتفطُّن له باسم الفهم، وجعله مقدما على العلم والحكم (٣).

وهذه بعض النماذج التى توضح هذا الاتجاه:

١ـ تعداد المعانى المختلفة للفظة الواحدة:

ذلك لأن اللفظة الواحدة قد تحتمل فى القرآن الكريم عشرين معنى أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر. من ذلك كلمة الهدى فهى:

بمعنى البيان فى قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (٤).

وبمعنى الإيمان فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ (٥).

وبمعنى الرسل أو الكتب فى قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (٦).

وبمعنى الرشاد فى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ (٧).

وبمعنى التوراة فى قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (٨).

وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾ (٩).

---

(١) الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر ١/ ٦.

(٢) الأنبياء ٧٩.

(٣) شرح إحياء علوم الدين للزبيدى ٥٣٠.

(٤) البقرة ٥.

(٥) البقرة ١٢٠.

(٦) مريم ٧٦.

(٧) طه ١٢٣.

(٨) الفاتحة ٦.

(٩) غافر ٥٣.

وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ (١).

وبمعنى الإلهام فى قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (٢).

٢ـ احتمال اللفظ معنيين فى موضع، وتعيين واحد منهما فى موضع آخر: من ذلك قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (٣) فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على (قلوبهم) ويحتمل الوقف على (قلوبهم) والابتداء بقوله: (وعلى سمعهم) والاحتمال الأول أولى لقوله تعالى فى سورة الجاثية: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ (٤).

وكقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (٥) والمراد بهم: (المؤمنون) بدليل قوله تعالى فى موضع آخر: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾(٦).

٣ـ رفع التناقض وإزالة الاختلاف:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (٧) مع قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ (٨).

قيل: إن آية الأعراف تجرى على الظاهر من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر، فاستقرت الأربعون، ثم أخبر فى آية البقرة بما استقر.

٤ـ تفسير الألفاظ بالسياق القرآنى:

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (٩). وقد فسر السياق القرآنى هذا (الهلوع) بقوله بعد ذلك: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (١٠).

---

(١) القصص ٥٧.
(٢) طه ٥٠ وانظر (البرهان فى علوم القرآن) للزركشى ١/ ١٠٣.
(٣) البقرة ٧.
(٤) الجاثية ٢٣.
(٥) الشورى ٥.
(٦) غافر ٧.
(٧) البقرة ٥١.
(٨) الأعراف ١٤٢.
(٩) المعارج ١٩.
(١٠) المعارج ٢٠، ٢١.

٥ ـ تفسير المعنى المراد الخفى بنص صريح يبين خفاءه:

ومثاله: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (١)، اضطرب الصحابة لاعتقادهم أنهم سيحاسبون على خواطر أنفسهم وحركات قلوبهم. فقالوا: يا رسول الله، أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها.

فقال لهم النبى ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير. فأخذوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها فى نص صريح وهو قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلى آخر السورة.

وبعد نزولها علموا أنهم لا يحاسبون على خطرات النفس، وهواجس القلب.

٦ ـ تفسير المبهمات:

ومن تفسير القرآن الكريم بالقرآن: علم المبهمات، هكذا أطلق عليه علماء التفسير، والمراد به أنه تبهم الكلمات فى موضع استغناء ببيانها فى موضع آخر فى سياق الآية. ومثاله قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٢) فقد بين (يوم الدين) فى موضع آخر وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (٣).

٧ ـ الإجمال والتفصيل:

هناك آيات قرآنية وردت مجملة موجزة، وأخرى موضحة متصلة فى موضوع واحد. ونحن بإزاء هذه الآيات يجب أن نقف عند المجمل وحده من غير نظر إلى الآيات التى تفسره وتفصله، وتوضحه. ولو فعلنا ذلك لوقعنا فى الخطأ لأننا أخذنا الحقيقة مغلفة، ولا ندرى ما بداخلها.

---

(١) البقرة ٢٨٤.

(٢) الفاتحة ٤.

(٣) الانفطار ١٨، ١٩.

ومثال هذا النوع من تفسير ما أجمل، وتوضيح ما أوجز قوله تعالى: ﴿وأُحِلَّتْ لكُمُ الأَنْعَامُ إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[1] ولكن ما الذى يتلى علينا ويحرم علينا أكله؟ لم تبينه الآية، ولكنها أجملت ما يتلى فى هذا الموقف وتعود الآيات بعد ذلك لتوضيح هذا الذى يُتلى، فيقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحمُ الخنزير وما أُهِلَّ لغَيْر اللَّه به والْمُنْخَنِقَةُ والْمَوْقُوذَةُ والْمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ وما أكَلَ السَّبُعُ إلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُب وأَن تَسْتَقْسِمُوا بالأَزْلام ذلكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا من دينكُمْ فلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْن الْيَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتِى ورضيتُ لكُمُ الإسلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لإِثْمٍ فإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] إلى آخر الآية.

وبعد فهذه نظرات عابرة فى غريب القرآن الكريم، وأرجو أن أوفق فى بحث آخر إن شاء الله إلى تفسير غريب القرآن الكريم فى ضوء غريب الحديث الشريف ليتضح لنا أبعاد هذا الغريب عند اللغويين والمفسرين.

***

(١) الحج ٣٠.

(٢) المائدة ٣. وانظر (البرهان فى علوم القرآن ٢/ ٤٦.

مصادر البحث ومراجعه

١ـ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة ثالثة ـ مصطفى الحلبى.

٢ـ إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعى ـ مطبعة الاستقامة ـ طبعة سادسة.

٣ـ الأعرابيّات: خليل مردم بك ـ طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤ـ الاقتراح: جلال الدين السّيوطى ـ طبع الهند.

٥ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى: تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ـ مطبعة الحلبى.

٦ـ تفسير الألوسى: ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.

٧ـ ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم: للرمامى ـ والخطابى ـ والجرجانى ـ دار المعارف بمصر.

٨ ـ الرسالة: الإمام الشافعى ـ طبع مصطفى البابى الحلبى.

٩ـ الصاحبى لابن فارس ـ مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠.

١١ـ المسائل لابن قتيبة ـ مخطوط مصور رقم ٢٠٩٦٧ ـ مكتبة جامعة القاهرة.

١٢ـ مقدمتان فى علوم القرآن ـ تحقيق ارثر جفرى ـ مطبعة السنة المحمدية.

١٣ـ القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية د. عبدالعال سالم مكرم ـ دار المعارف بمصر ـ طبعة أولى ـ مؤسسة الصباح ـ الكويت ـ طبعة ثانية ـ مكتبة التراث بالأزهر ـ طبعة ثالثة.

١٤ـ كشف الظنون ـ حاجى خليفة ـ طبعة وكالة المعارف - استانبول.

١٥ـ النقد واللغة فى رسالة الغفران: الدكتور أمجد الطرابلسى ـ مطبعة الجامعة السورية.

١٦ـ النهاية فى غريب الحديث: ابن الأثير ـ طبع عيسى الحلبى.

* * *